سماحة الإسلام فى الجانب الاجتماعي

أ.د/ أحمد عبد المبدى أحمد النجمى(*)

مقدمة :

الحمد لله رب العالمين الذي خلق البشر جميعاً من أب واحد وأم واحدة واختار منهم مبشرين ومنذرين لهدايتهم جميعاً إلى صراط الله المستقيم، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين الذي أرسله ربه رحمة للعالمين وعلى جميع إخوانه الأنبياء والمرسلين وعلى جميع الآل والصحب والتابعين.

وبعد،،

لقد جاء الإسلام لِيعلّم الأخوة الإنسانية ويبشر بالدعوة إلى المحبة والتضامن، ويبطل كل عصبية، ويسلك بالناس جميعاً طريق الخير والعزة، ويقرب بين النفوس المتنازعة والقلوب المتطاحنة والمشاعر المختلفة ، ويجمع الناس جميعاً فى وحدة لا تفرق بين هذا وذاك، بل تسوى بين الجميع فى الحقوق والواجبات.

والتاريخ يؤكد أن الإسلام حقق هذه المعانى فى صورة رائعة جلية، ومن المعلوم أيضاً أن الدعوة إلى الإسلام بدأت بالحكمة والموعظة الحسنة، وحتى إذا وصل الأمر إلى مرحلة المجادلة ، فهى بالتى هى أحسن ، وهذا يدل دلالة واضحة على مدى عظم سماحة الإسلام ، سماحة لا يستطيع أى أحد إنكارها إلا إذا كان بعيداً عن الحق

(*) الأستاذ المساعد بقسم الأديان والمذاهب – كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة.

وكارهـــاً للحقيقة ، وهذا ما دعانى إلى الكتابة عن سماحة الإسلام وفى جانـــب مـــن أهم الجوانب وأقربها إلى الإحساس البشرى، وهو الجانب الاجتماعى، وقد اشتمل هذا البحث على هذه المقدمة وعلى مدخل وثلاثة مطالب وخاتمة على النحو التالى:

المدخل : مفهوم السماحة والإسلام.

المطلب الأول : سماحة الإسلام فى العلاقة بين ذوى القربى.

المطلب الثاني : سماحة الإسلام فى العلاقة مع المسلمين.

المطلب الثالث : سماحة الإسلام فى العلاقة مع غير المسلمين.

الخاتمة : وتشمل أهم المراجع والفهرس.

والله الهادى إلى سواء السبيل

المدخـــل

مفهوم السماحة والإسلام

تجــدر الإشارة فى البداية إلى مفهوم كل من السماحة والإسلام حتى يستطيع القارئ الكريم أن يلم بمعظم جزئيات هذا البحث المتواضع وهذه الإشارة ستنحصر – بمشيئة الله تعالى – فى هاتين النقطتين:

النقطة الأولى : مفهوم السماحة :

أولاً : المفهــوم اللغــوى: فقــد ورد حــول مادة سمح: (سمح السماح والمسامحة: الجود، وسَمحَ سَمَاحَة وسُمُوحاً وسمَاحاً: جاد، ورجل سَمح وامــرأة سَــمحة مــن رجال ونساء سماح ونساء فيهما، حكى الأخيرة الفارسى عن أحمد بن يحيى.

ورجــل سميح ومِسْماح: سَمح، ورجال مساميح ونساء مساميح، قال جرير :

غَلَبَ المساميح الوليدُ سماحةً   وكفى قريش المعضلات وسادها

وفى الحديث: يقول الله – عز وجل –: (اسمحوا لعبدى كإسماحه إلــى عــبادى)، الإسماح: لغة فى السماح، يقال: سمح وأسمح إذا جاد وأعطى عن كرم وسخاء، وقيل: إنما يقال فى السخاء سمح، وأما أسمح فإنمــا يقــال فــى المتابعة والانقياد، ويقال: أسمحت نفسه إذا انقادت ، والصحيح الأول.

والمســامحة: المســاهلة، وتســامحوا: تســاهلوا وفى الحديث المشهور: (السماح رباح) أى السماحة فى الأشياء تربح صاحبها.

وسمح وتسمح: فعل شيئاً فسهّل فيه، أنشد ثعلب :

ولكن إذا ما جل خطب فسامحت به النفس يوماً كان للكره أذهبا

ولقولهم: الحنيفية السمحة: ليس فيها ضيق ولا شدة [1].

وقيل: (سمح سماحاً وسماحة: بذل فى العسر واليسر عن كرم وسخاء، وسمح سماحة وسموحة: لان وسهل ، فهو سمح وسميح، وسامحه: عفا عنه، ويقال فى الدعاء: سامحك الله، ويقال سامحه بذنبه.

تسامح فى كذا: تساهل، السمحة يقال شريعة سمحة: فيها يسر وسهولة[2].

وقيل: "سَمح يسمح سماحاً: جاد وسمح يسمح سماحة صار من أهل السماحة فهو سَمْح وسميح، وتسامح، تساهل، وتسمح فيه: تساهل"[3].

وبالنظر والتفكير فى المعنى اللغوى لمادة سمح، يلاحظ شموله لمعانى: الجود والبذل والانقياد، والسهولة واليسر، والبعد عن الضيق والشدة، وجميع هذه المعانى بينها ارتباط وثيق، فالجود والبذل لا يتحققان إلا إذا سبقهما الانقياد والخضوع المشروع، كما لا يكتملان إلا بطريق السهولة واليسر بعيداً عن الضيق والشدة.

---

(١) راجع لسان العرب لابن منظور – المجلد الثاني، مادة سمح ، ص ٤٨٩ – ط الأولى – م دار صادر بيروت.

(٢) المعجم الوجيز – مجمع اللغة العربية – مادة سمح – ص٣٢٠ – طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم، عام ١٩٩١م.

(٣) دائرة معارف القرن العشرين – محمد فريد وجدى –المجلد الخامس – ص ٢٩٧ – ط الثالثة – م دار المعرفة بيروت.

ثانــياً : المفهــوم الاصطلاحي : يقول مسكويه: "وأما السماحة: فهى بذل بعض ما لا يحب، وأما المسامحة: فهى ترك بعض ما يحب، والجميع يكون بالإرادة والاختيار"[1].

فالسماحة إذاً هى التعامل مع الغير بسهولة ويسر ورضا عن كل مــا يبذله المتسامح سواء فعل ما لا يحب أو ترك ما يحب فالأمر عنده سواء ، فهو صاحب خلق رفيع ومروءة عالية.

النقطة الثانية : مفهوم الإسلام :

أولاً : المفهــوم اللغوى : (وأسلم لله فهو مسلم، وأسلم: دخل فى ديــن الإســلام، وأســلم: دخل فى السلم وأسلم أمره لله، وسلَّم أمره لله بالتثقيل لغة، واستسلم: انقاد"[2].

وقــيل: (الإســلام والاستسلام: الانقياد، والإسلام من الشريعة: إظهار الخضوع، وإظهار الشريعة، والتزام ما أتى به النبى ﷺ وذلك يُحقــن الــدم ويُستدفع المكروه، وما أحسن ما اختصر ثعلب ذلك فقال: الإسلام باللسان والإيمان بالقلب.

وأمــا الإسلام فإن أبا بكر محمد بن بشار قال: يقال فلان مسلم وفــيه قــولان: أحدهما هو المستسلم لأمر الله، والثانى هو المخلص لله العبادة، من قولهم سلَّم الشئ لفلان: أى خلَّصه، وسَلِمَ له الشئ أى خلص له، وروى عن النبى ﷺ أنه قال: (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويــده) قــال الأزهــرى: فمعــناه أنه دخل فى باب السلامة حتى يسلم

---

(١) تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراف – لابن مكسويه – تحقيق ابن الخطيب – ص ٣١ ط الأولى ، م المطبعة المصرية.

(٢) راجع: المصباح المنير للفيومى – مادة سلم – ص ٢٨٧ – م دار المعارف.

المؤمـــنون مـــن بوائقه .. فالإسلام إظهار الخضوع والقبول لما أتى به سـيدنا رسول الله ﷺ وبه يُحقن الدم، فإن كان مع ذلك الإظهار اعتقاد وتصديق بالقلب، فذلك الإيمان الذى هذه هى صفته(١).

والمـتدبر لهـذا المعـنى اللغوي للإسلام يلاحظ واضح شموله واحتضانه للمعنى اللغوي للسماحة، يفهم ذلك من خلال معاني الخضوع والانقياد والإخلاص لله تعالى ولمنهجه ولهذا لم تكن هناك حاجة لورود كلمة السماحة فى القرآن الكريم حيث أن الإسلام كله والإيمان جله بكل مـا يشـتملان علـيه من معان هما الممثلات للجانب العقدي والجانب العملي لأخلاق القرآن الكريم.

ثانياً : المفهوم الاصطلاحي : تتعدد مفاهيم الإسلام لدى العلماء والباحثيـن، ولكـنها جمـيعها تتضافر وتتعاون لتعطى المفهوم اللائق بالإسـلام، هذا الدين الخاتم الذى يتضمن المنهج الإلهي الذى به صلاح الدنيا وسعادة الآخرة.

الإسـلام هـو الدين الخاتم للأديان السماوية، أوحى به الحق – تـبارك وتعـالى – إلـى رسوله ونبيه محمد ﷺ فى مكة: دعوة إلى التوحيد الخالص، وكتابه هو القرآن الكريم.

فالإسلام يقوم على توحيد الله، وإلغاء الوثنية والتعدد، ونبذ عبادة الأوثـان، والاعـتراف بجميع الأنبياء والرسل السابقين والكتب المنزلة والملائكـة، والإيمـان باليوم الآخر، وقد جاء ديناً عالمياً للبشرية كلها وللإنسـانية كافـة، قام على أساس العلاقة المباشرة بين الله – تعالى –

---

(١) راجع : لسان العرب لابن منظور – المجلد ١٢ – مادة سلم – ص ٢٩٣ ، ٢٩٤ .

والإنســـان وشــــجب كل الوسائط والعلائق ، وجاءت دعوته جامعة بين الدين والدنيا، وبين القلب والعقل ، وبين الروح والمادة ومستهدفة إقامة منهج ربانى قوامه إقرار الإرادة الإنسانية، وحرية الاختيار، والمسئولية الفردية، والالتزام الأخلاقى والجزاء الأخروى.

وقـــد جمع الإسلام بين العقيدة والعبادة والشريعة والأخلاق فى نسق متكامل بوصفه أسلوب حياة، ونظام دولة، ودستوراً شاملاً لصالح الإنسانية جمعاء.

والإسلام شرعاً : هو الأعمال الظاهرة من التلفظ بكلمة الشهادة، والإتـــيان بالواجـــبات، والانـــتهاء عن المنهيات، وعلى هذا فهو يغاير الإيمان ولا ينفك عنه، وقيل: إن الإيمان تصديق قلبى، والإسلام طاعة وانقياد ظاهرى[1].

والمـــتأمل لهـــذه المعانى لا يغيب عنه ما تتزين به وتتجمل من ســـماحة ويســـر ومحـــبة ووئام ، وبعد هذا الإيضاح اليسير لمفهومى الســـماحة والإســـلام، ننتقل – بمشيئة الله – إلى ما يؤكد هذه المفاهيم، وســـماحة الإســـلام ويسره وسهولته، تظهر واضحة فى كل ما جاء به الإســـلام مـــن عقيدة وعبادة وشريعة وأخلاق، ولا يتسع المقام لتناول ســـماحة الإســـلام فى كل هذه الجوانب، ولذا سيقتصر هذا البحث على محاولة إيضاح سماحة الإسلام فى الجانب الاجتماعي، هذا الجانب الذى نال عناية فائقة من التوجيه الإسلامي لتقويمه وإصلاحه، والنهوض به

---

(١) معلمة الإسلام – الأستاذ أنور الجندى – ج١ – ص٢٣ – بتصرف يسير ، ط الثانية – م دار الصحوة.

إلــى الرقى البشرى والمثالية الإنسانية، فقد وظف الإسلام كل محتوياته لهــذا الغرض النبيل ، بل إن كل رسالة إلهية سبقت الإسلام كانت من أجــل هــذا الغــرض بالقدر المناسب ، وجاء الإسلام بالمنهج الكامل والمستمر القدرة والكفاءة إلى قيام الساعة.

فالعقــيدة الإسلامية ، والتى يمثل جوهرها التوحيد الخالص إنما هدفت فى البادية إلى إصلاح المجتمع، (وخلاصة التوحيد : حسن السير والسلوك مع الآخرين)[1].

والعبادات فى الإسلام إنما الغرض منها تهذيب السلوك البشرى وتقوية نوازع الخير وإضعاف بواعث الشر لأجل إصلاح العلاقات بين البشــر، والمتأمــل فى الآيات التالية يلحظ ذلك جيداً، يقول الله تعالى: ﴿اتْــلُ مَــا أُوحِــيَ إِلَيْكَ مِنْ الْكِتَابِ وَأَقِمْ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنْ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾[العنكـبوت:٤٥] ويقــول ســبحانه: ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَــةِ قُلُوبُهُــمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنْ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة:٦٠]، ويقول جل شأنه:﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِيــنَ آمَــنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمْ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَــتَّقُونَ﴾ [الـبقرة:١٨٣]، ويقول عز وجل: ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِي يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ﴾ [البقرة:١٩٧].

---

(١) واقعنا ومستقبلنا فى ضوء الإسلام – وحيد الدين خان – ص ٨٢ – ط الأولى – دار الصحوة.

فكل العبادات فى الإسلام تدعو إلى تقويم الأخلاق وتهذيب السلوك إما لكونها - فى جوهرها - تنهى عن الفحشاء والمنكر كالصلاة ، أو لكونها تدعو إلى مساعدة المحتاجين من طوائف المجتمع كالزكاة والصدقة، أو لكونها تدعو إلى التقوى التى تتمثل فى مراقبة الله تعالى فى كل حال ومع أى كائن كالصوم والحج.

والمصدر الأول للإسلام وهو القرآن الكريم، كله دعوة إلى أسس الخير فى الدنيا والآخرة، وتصحيح وتوحيد لعلاقة الخلق بخالقهم، وعلاقة الخلق بعضهم مع بعض، وفيه الهداية الكاملة إلى أقوم طريق: ﴿إِنَّ هَـذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء:٩].

وقد بين الله تعالى أن الرحمة فى اتباعه ، والاعتصام به: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[الأنعام:١٥٥]، كما بين سبحانه أن فى النكوص عنه، والبعد عن هداه، وعدم الاعتصام بحبله بعداً عن حقيقة الدين وجوهره، وانفصالاً عن الله ورسوله: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام:١٥٩](١).

ولما كان الجانب الاجتماعي يتمثل فى علاقة الفرد بذوى رحمه وبإخوانه فى الدين وبرفاقه فى الحياة من غيرهم، استدعى توضيح سماحة الإسلام - فى هذا الجانب - تناول هذه المحاور من خلال المطالب الثلاثة الآتية :

---

(١) منهج الإسلام فى العقيدة والعبادة والأخلاق - د/ أحمد عمر هاشم - ص ٩١ - ط الأولى - دار المنار للنشر والتوزيع.

المطلب الأول

سماحة الإسلام فى العلاقة بين ذوى القربى

إذا أريد لأى بناء أن يكون قوياً وسليماً فلابد أن يبنى على أسس متينة ، والتعهد بالإجادة والإتقان لكل مراحله، وبعد إتمامه لابد من تعهده بالصيانة والرعاية الكاملتين والمتواصلتين حتى يكون سليماً من أى عطب على مرور الزمن وتعاقب مراحله، وإن الباحث البصير ليجد أن الإسلام – بسماحته ويسره – نبه الفكر البشرى إلى ذلك من خلال منهجه المتكامل ودعوته الدائمة إلى بناء المجتمع بناءً سليماً، ورعايته رعاية متكاملة متواصلة، فيلاحظ عظيم اهتمامه بالمجتمع بداية من أصغر وحدة فيه إلى المجتمع بكامله.

فسماحة الإسلام بالنسبة للعلاقة بين ذوى القربى تتمثل فى النقاط الآتية:

١- العلاقة بين الزوج والزوجة : لما كانت العلاقة بين الزوجين تعتبر هى الأساس الأول لتكوين المجتمع بكل مكوناته، فقد نالت هذه العلاقة قدراً كافياً من اهتمام الإسلام وسماحته ومما يدل على ذلك قول الله تعالي: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم:٢١]، "من تمام رحمة الله ببنى آدم أن جعل أزواجهم من جنسهم، وجعل بينهم وبينهن مودة وهى المحبة ، ورحمة وهى الرأفة أو الألفة بينهما"[(١)]، ولو نظرنا إلى الآية الكريمة لوجدناها قد أشارت إلى

---

(١) تفسير القرآن العظيم للإمام الحافظ ابن كثير – ج٣ – ص ٤٢٩ – مكتبة التراث الإسلامى سوريا – حلب.

أهمية هذه العلاقة، فأشارت إلى أنها آية من آيات الله، وذلك فى أولها، وأشارت فى نهايتها أن فى هذه العلاقة آيات تدل على عظمها وأهميتها لمن لهم عقول تتفكر فى آيات الله تعالى وعظيم صنعه.

وكذلك يشير إلى التسامح فى هذه العلاقة قول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إلا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء:١٩]، (والمعاشرة: مفاعلة من العشرة، وهى المخالطة والمصاحبة، أى وصاحبوهن وعاملوهن بالمعروف، أى بما حض عليه الشرع وارتضاه العقل من الأفعال الحميدة والأقوال الحسنة)[١]، ويقول الإمام ابن كثير – مشيراً إلى مدى عظم سماحة الإسلام فى هذه العلاقة – : وقوله تعالى: "وعاشروهن بالمعروف" أى طيبوا أقوالكم لهن، وحسنوا أفعالكم وهيأتكم بحسب قدرتكم كما يحب أحدكم ذلك من زوجته، فليفعل معها مثله، كما قال تعالى: "ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف" ، وقال رسول الله ﷺ: "خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلى" ، وكان من أخلاقه ﷺ أنه جميل العشرة ، دائم البشر ، يداعب أهله، ويتلطف بهم، ويوسعهم نفقة، ويضاحك نساءه حتى أنه كان يسابق السيدة عائشة – رضى الله عنها – يتودد إليها بذلك .. وكان ﷺ إذا صلى العشاء يدخل منزله يتسامر مع أهله قليلاً قبل أن ينام يؤانسهم بذلك ﷺ [٢].

---

[١] التفسير الوسيط للقرآن الكريم – د/ محمد سيد طنطاوى – المجلد الثالث – ص ١١٧ – ط الثانية – مطبعة السعادة.

[٢] تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير – ج١ – ص ٤٦٦ – بتصرف.

ويقــول صــاحب إحياء علوم الدين – رحمه الله تعالى – مدللاً على سماحة الإسلام فى هذه العلاقة : (وأعلم أنه ليس حسن الخلق معها – أى مع الزوجة – كف الأذى عنها، بل احتمال الأذى منها والحلم عند طيشــها وغضــبها، اقتداء برسول الله ﷺ فقد كانت أزواجه تراجعنه الكــلام، وتهجره الواحدة منهن يوماً إلى الليل .. وعلى الزوج أن يزيد على احتمال الأذى بالمداعبة والمرح والملاعبة، فهى التى تطيب قلوب النســاء، وقــد كــان رســول الله ﷺ يمزح معهن وينزل إلى درجات عقولهن فى الأعمال والخلاق)[1].

فهــذه نظــرة ســريعة إلى سماحة الإسلام بالنسبة للعلاقة بين الزوجين اللذين يمثلان أول لبنة فى بناء المجتمع.

٢- العلاقــة بيــن الوالدين والأولاد : بعد خروج الأولاد للحياة تنشــأ علاقــة حميمة من الوالدين تجاه أولادهما، ولكن هذه العلاقة قد تشــوبها بعض المكدرات بمرور الوقت ، وخاصة عندما يبلغ الوالدان الكبر، وتتزايد مسئوليات الأولاد، ونجد الإسلام يحرص ويعمل على أن تظــل هذه العلاقة منتعشة قوية يسودهــا الإحســان والحسن بعيداً عن الانهيار والضعف، ولا أدل على ذلك من آيــات القرآن الكريم ، والتي قرنــت في معظمها الإحســان بالوالدين بعبادة الله تعــالى ، يقول جل شأنه:﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلا تَعْبُدُوا إِلا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِــبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلا كَــرِيمًا * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ [الإسراء:٢٣-٢٤].

---

[1] راجــع إحياء علوم الدين – للإمام الغزالى – المجلد الثانى – ص ٤٣-٤٤ – المكتبة التجارية الكبرى.

قـال الإمام الرازى عند تفسيره للآية الأولى: (وأقول لفظ الآية مشـتمل على قيود كثيرة ، كل واحد منها يوجب المبالغة فى الإحسان إلـى الوالدين: أحداها: أنه – تعالى – قال فى الآية المتقدمة "ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا" ثم إنه تعـالى أردفه بهذه الآية المشتملة على الأعمال التى بواسطتها يحصل الفـوز بسعادة الآخرة، فذكر من جملتها البر بالوالدين، وذلك يدل على أن هذه الطاعة من أصول الطاعات التى تفيد سعادة الآخرة.

وثانـيها : أنـه تعالى بدأ بذكر الأمر بالتوحيد وثنى بطاعة الله تعـالى وثلـث بالبر بالوالدين ، وهذه درجة عالية ومبالغة عظيمة فى تعظيم هذه الطاعة.

وثالـثها : أنـه تعـالى لـم يقـل وإحساناً بالوالدين ، بل قال: "وبالوالدين إحساناً" فتقديم ذكرهما يدل على شدة الاهتمام.

ورابعهـا : أنـه قال: "إحساناً" بلفظ التنكير، والتنكير يدل على التعظـيم، والمعنى: وقضى ربك أن تحسنوا إلى الوالدين إحساناً عظيماً كاملاً، وذلك لأنه لما كان إحسانهما إليك قد بلغ الغاية العظيمة وجب أن يكـون إحسانك إليهما كذلك، ثم على جميع التقديرات فلا تحصل مكافأة لأن إنعامهما عليك كان على سبيل الابتداء ، وفى الأمثال المشهورة: أن البادئ بالبر لا يكافأ"(١).

ويقـول تـبارك وتعـالى ﴿وَاعْـبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْـنِ إِحْسَانًا ..﴾ [النساء:٣٦]، ويقول سبحانه: ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ

(١) التفسير الكبير للإمام الفخر الرازى – ج٢٠ – ص ١٨٦ – ١٨٧ – ط الثالثة – دار إحياء التراث العربى – بيروت.

بوَالِدَيْــهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَــهْرًا﴾ [الأحقاف:١٥]، ويقول سبحانه: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَــاهَدَاكَ لِتُشْــرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [العنكبوت:٨].

وعن عبد الله بن مسعود – رضى الله عنه قال سألت رسول الله ﷺ أى العمل أحب إلى الله قال: "الصلاة على وقتها قلت ثم أى قال بر الوالدين قلت ثم أى قال الجهاد فى سبيل الله" رواه البخاري ومسلم(١).

٣- العلاقــة بيــن ذوى الأرحـــام : لما كانت العلاقة بين ذوى الأرحـــام تشـــوبها بعض المكدرات بسبب التقارب والاحتكاك، حرص الإســـلام حرصـــاً بلـــيغاً علـــى أن يغرس السماحة والوفاق بين ذوى الأرحام، حيث أن العلاقة بين الأقارب تمثل مرحلة أساسية من مراحل بناء المجتمع، وكما سبقت الإشارة إلى أن الإسلام أهتم اهتماماً لائقاً بكل مــراحل تكوين المجتمع، ولم يغفل مرحلة لحساب مرحلة أخرى، وهذه هى سمة وحقيقة منهج الله تعالى لإصلاح خلقه، وإذا نظرنا إلى سماحة الإســلام، نجد الكثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التى اهتمت بتقوية هذه العلاقة وإصلاحها:

ومــن الآيات القرآنية: قول الله تبارك وتعالى: ﴿.. وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَتَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١]، وقوله ســبحانه: ﴿وَأُولُــوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُــلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال:٧٥]، وقوله جل شأنه: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ

---

(١) الترغيــب والترهيــب للمــنذرى – كتاب البر والصلة وغيرهما – الترغيب فى بر الوالدين وصلتها – ج٣ – ص ٢١٣ – مكتبة شباب الأزهر.

أَنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ [محمد:٢٢]، وقوله عز من قائل: ﴿فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الروم:٣٨]، وكذا قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل:٩٠]، ومن هذه الآيات الكريمات قول الله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى..﴾ [النساء:٣٦]، فجميع هذه الآيات وغيرها من الآيات القرآنية الأخرى تدعو دعوة قوية إلى أن يسود العفو والتسامح والوفاق والوئام – العلاقة بين ذوى الأرحام ، لكى تنسجم هذه المرحلة المجتمعية مع ما قبلها وما بعدها من المراحل البنائية للمجتمع.

وبالنسبة للأحاديث النبوية – بخصوص هذه العلاقة – فهى من الكثرة بمكان، ولكنى أذكر بعضاً منها:

عن انس بن مالك – رضى الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال: "من أحب أن يُبسط له فى رزقه ويُنسأ له فى أثره فليصل رحمه"(١)، وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال: "ليس الواصل بالمكافئ ولكن الواصل الذى إذا قطعت رحمه وصلها"(٢).

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله إن لى قرابة أصلهم ويقطعونى، وأحسن إليهم ويسيئون إلى، وأحلم عنهم

---

(١) صحيح البخاري بحاشية السندى – كتاب الأدب – باب من بسط له فى الرزق بصلة الرحم – ج٤ – ص٤٩ – دار إحياء الكتب العربية. وصحيح مسلم بشرح النووى – نفس التخريج السابق – ج١٦ – ص١١٤ – مطبعة دار الفكر.

(٢) صحيح البخارى – كتاب الأدب – باب ليس الواصل بالمكافئ – جـ٤ – صـ٥٠ .

ويجهلــون علــى، فقال: "إن كنت كما قلت فكأنما تُسفّهم المنّ ولا يزال معك من الله ظهير عليهم مادمت على ذلك"(١).

وأخــرج البزار عن جابر رضى الله عنه أن جويرية رضى الله عنها قالت للنبى ﷺ: إنى أريد أن أعتق هذا الغلام، قال: "أعطه خالك الذى فى الأعراب يرعى عليه فإنه أعظم لأجرك"(٢).

هــذه بعــض آيات القرآن الكريم وبعض أحاديث الرسول ﷺ والــتى حــرص كل منها على تقوية وإنماء العلاقة الصالحة بين ذوى القربى، والدعوة إلى تعاهدها بالرعاية والتغاضى عن بعض السلبيات لا لشئ من غرض او هوى، وإنما ابتغاء مرضاة الله عز وجل وطمعاً فى عظيم مثوبته وكريم عطائه.

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى – كتاب البر والصلة والآداب – باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها – جـ١٦ – ص ١١٥ .

(٢) حــياة الصــحابة – محمــد يوسف الكاندهلوى – ج٢ – ص ٥١٩ – مكتبة الدعوة الإسلامية.

المطلب الثانى
سماحة الإسلام فى العلاقة بين المسلمين

اهـــتم الإسلام اهتماماً واضحاً بأن تسود السماحة والعفو والحلم العلاقة بين جميع فئات المجتمع الإسلامي، وخاصة وبدرجة أوضح بين الفئات التى تحتاج إلى قدر أوفر من التسامح والعفو.

ومـــن هـــذه الفئات ، والتى قد يتوهم المتوهمون أن الإسلام قد أغفلهـــا أو لم يعطها حقها من العناية: فئة النساء والأطفال، وتوضيحاً لذلـــك، سيتناول هذا المطلب – بمشيئة الله تعالى – سماحة الإسلام فى العلاقة بين المسلمين من خلال النقاط التالية:

١- العلاقـــة بين المسلمين على وجه العموم : لقد ربط الإسلام بيـــن المسلمين الذين يؤمنون إيماناً كاملاً، فيعملون على تنفيذ أوامر الله تعالى واجتناب نواهيه برباط قوى متين وهو رباط الأخوة الإيمانية وقد أطلق عليها القرآن الكريم اسم الأخوة ، هذا الاسم الذى يعنى الأخوة فى النســـب ، ولـــم يطلق عليها اسم الأخوان الذى يعنى علاقة المصاحبة والمـــرافقة، ليثبـــت أن الأخـــوة الإيمانية رابطة قوية مثلها مثل رابطة الأخـــوة فـــى النسب، وعبر عنها تعبيراً رائعاً يفيد الحصر ، وذلك فى قـــول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات:١٠].

وروى عـــن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال: "المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يلثمه من كان فى حاجة أخيه كان الله فـــى حاجـــته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة"(١).

---

(١) الترغيـــب والترهيـــب للمنذرى – باب الترغيب فى ستر المسلم والترهيب من هتكه وتتبع عورته – ج٣ – ص١٧٥ – حديث رقم ٢ – مكتبة شباب الأزهر.

ولقــد جعل الإسلام للمسلم على أخيه المسلم حقوقاً كثيرة تشير إشــارة واضــحة إلــى سماحة الإسلام القوية فى هذه العلاقة، من هذه الحقوق: "أن تسلم على أخيك المسلم إذا لقيته، وتجيبه إذا دعاك، وتشمته إذا عطس، وتعوده إلى مرض، وتشهد جنازته إذا مات، وتبر قسمه إذا أقسم، وتنصح له إذا استنصحك، وتحفظه بظهر الغيب إذا غاب، وتحب له ما تحب لنفسك، وتكره له ما تكره لنفسك، ومنها: ألا تؤذى أحداً من المســلمين بقول ولا فعل، وأن تتواضع للمسلمين فلا تتكبر عليهم، ولا تســمع وشايا بعضهم فى بعض، ولا تبلغ بعضهم ما تسمع من بعض، ومــنها: أن لا تزيد فى الهجر على ثلاثة أيام لمن تعرفه، وأعلم أن هذا الهجر إنما هو فيما يتعلق بأمور الدنيا، أما حق الدين، فإن هجران أهل البدع والأهواء والمعاصى ينبغى ما لم تظهر منهم التوبة والرجوع إلى الحــق، بعــد نصحهم وبيان الصواب لهم، ومنها: أن تخالق المسلمين بخلــق حســن، وذلــك أن تعامل كلاً بحسب ما يناسبه، فإنه متى تلقى الجاهل بالعلم، واللاهى بالفقه ، والغبى بالبيان، تؤذى وتتأذى.

ومنها: أن يوقر المشايخ، ويرحم الصغار، وأن يكون مع الخلق كافة طلق الوجه رقيقاً، وأن يفى بالعهد، وينصف الناس من نفسه، ولا يأتى إليهم إلا ما يحب أن يؤتى به"(١).

ومن الأحاديث النبوية التى ترشد إلى هذه الحقوق: ما روى عن البراء بن عازب رضى الله عنه قال: أمرنا رسول الله ﷺ بسبع: بعيادة

(١) راجــع توجــيهات للدعاة والمصلحين فى ضوء هدى إمام المرسلين صلى الله عليه وسلم د/ أحمد عبد المبدى أحمد – ص ١٩٦ – ط الأولى – مطبعة الحسين الإسلامية.

المـــريض، واتباع الجنائز، وتشميت العاطس، ونصر الضعيف، وعون المظلوم، وإفشاء السلام، وإبرار القسم .."[1].

وما روى عن أبى هريرة – رضى الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: "والـــذى نفســـى بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حـــتى تحـــابوا، أولا أدلكـــم على شئ إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشو السلام بينكم"[2].

٢- العلاقـــة بنســـاء المسلمين : لا شك أن النساء فى أى مجتمع يمثلن الجانـــب الآخـــر مـــنه، وفى المجتمع الإسلامي هن مكلفات بكثير من التكالـــيف الـــتى كُلـــف بها الرجال ، كما أنهن يقمن ببعض الواجبات الاجتماعية التى يستطيعها الرجال.

ولقـــد كرم الإسلام المرأة فى كل مراحل حياتها، فقد كرمها بنتاً وأختاً وزوجة وأماً، وحفظ لها إنسانيتها، وحافظ عليها من كل ما يخدش حـــياءها أو يسئ إلى عفتها وكرامتها. ودعا إلى حسن معاملتها، ومما يـــدل على ذلك – إلى جانب بعض الآيات القرآنية التى ورد ذكرها فى

---

(١) صـــحيح البخاري بحاشية الندى – كتاب الاستئذان – باب إفشاء السلام – ج٤ – ص ٨٧.

(٢) سنن ابن ماجة – ٣٣ كتاب الأدب – باب إفشاء السلام – الحديث رقم ٣٦٩٢ – ص ١٢١٧ – مطبعة دار إحياء الكتب العربية.

الـــنقطة الأولـــى من المطلب الأول – بعض الأحاديث التى وردت عن الرســـول ﷺ ومنها: ما روى عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: "خياركم خياركم لنسائهم"[١].

وروى عن انس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "حُبب إلى من الدنيا النساء والطيب وجُعل قرة عينى فى الصلاة"[٢].

وروى عـــن أم العلاء رضى الله عنها قالت: عادنى رسول الله ﷺ وأنـــا مريضة، فقال: "أبشرى يا أم العلاء فإن مرض المسلم يذهب الله به خطاياه كما تذهب النار خبث الذهب والفضة"[٣].

فهـــل يوجد ما يشير إلى السماحة فى معاملة النساء أكثر وأبلغ من تعبيرات الخيرية والحب وعيادة النبى ﷺ لمرضى النساء ؟؟

٣- العلاقة بأطفال المسلمين : الطفولة مرحلة هامة وشريحة مهمة من شـــرائح المجـــتمع، فلـــو نالت هذه المرحلة حقها من التربية السليمة"، والـــتعاهد المســـتمر بالتوجيه والتهذيب، لأعطت المجتمع جيلاً صالحاً يســـاهم فـــى إصـــلاح المجـــتمع وتنميـــته والارتقاء بشئونه فى جميع المستويات.

---

(١) المـــرجع الســـابق – ٩ كـــتاب النكاح- ٥٠ باب حسن معاشرة النساء – حديث رقم ١٩٧٨ – جـ١ – ص ٦٣٦ .

(٢) ســـنن النسائى بشرح الحافظ السيوطى وحاشية السندى – كتاب عشرة النساء – باب حب النساء – ج٧ – ص ٦١ – دار الحديث.

(٣) ســـنن أبـــى داود – كتاب الخراج والإمارة والفئ – باب عيادة النساء – حديث رقم ٣٠٩٣ – ج ٣ – ص ١٨٠ – دار الحديث.

ولأهمية هذه المرحلة اهتم الإسلام بالأطفال وأرشد إلى الأسلوب الذى يتناسب معهم، وهو الأسلوب الذى يحتوى على اللطف والتسامح، يفهـم ذلك من قول الله تعالى على لسان لقمان الحكيم، وهو يوجه ابنه التوجيه السليم إذ يناديه بلطف وحنان: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَابُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:١٣].

وقد وردت أحاديث كثيرة عن رسول الله ﷺ تدل دلالة واضحة على هذا الأسلوب الرحيم منها:

"عـن أنـس رضـى الله عـنه أنه كان يمشى مع رسول الله ﷺ فمر بصبيان فسلم عليهم"(١).

وروى ابن ماجة عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال: "أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم"(٢).

وجـاء فـى صحيح الإمام مسلم – رحمه الله عن أبى قتادة الأنصارى رضـى الله عـنه قـال: رأيت النبى ﷺ يؤم الناس وأُمامة بنت أبى العاص، وهى ابنة زينب بنت النبى ﷺ على عاتقة فإذا ركع وضعها ، وإذا رفع من السجود أعادها"(٣).

هـذه توجـيهات نـبوية: قولية وعملية مليئة بالسماحة واللطف والعطف فى العلاقة مع الأطفال بين منظومة توجيهات المنهج الإسلامى الـذى ارتضاه الحكيم العليم اللطيف الخبير الذى أنزله الله على رسوله ﷺ ولم يجعل فيه عوجاً.

---

(١) صـحيح مسلم بشرح النووى – كتاب السلام– باب استحباب السلام على الصبيان – ج٤ – ص ١٤٩ .

(٢) الترغيب والترهيب للمنذرى – ج٣ – ص ٨٦ – ٨٧ .

(٣) صحيح الإمام مسلم بشرح النووى – كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب جواز حمل الصبيان فى الصلاة – ج٥ – ص ٣١.

المطلب الثالث

سماحة الإسلام فى العلاقة مع غير المسلمين

الإسلام هو دين الرحمة الذى ختم به الرحمن الرحيم رسالاته إلى البشر، ورسول الإسلام الذى جعله الله تعالى خاتماً لرسله وأنبيائه، هو رحمة الله للعالمين، فهو ﷺ رحمة بطبعه وسلوكه ومعاملته، وهو رحمة بدعوته وبكل ما اشتملت عليه، ولا أدل على هذه الحقيقة من قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧]، وقوله سبحانه: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنْ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران:١٥٩]، وقوله تعالى فى شأن الدعوة: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل:١٢٥]، وقوله تعالى: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنْ الْغَيِّ..﴾ [البقرة:٢٥٦].

وسماحة الإسلام فى العلاقة مع غير المسلمين ، تتمثل مع شريحتين من شرائح المجتمع، وهما: أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى، وغيرهم من الكافرين:

١- علاقة المسلمين مع اليهود والنصارى: يحرص الإسلام على أن يسود السلام العالمى بين المسلمين وبين الشعوب كلها ، ويحرص بشكل أشد على السلام بين المسلمين وبين من يؤمنون برسالة الله ولا ينكرون الوحى، وإن اختلفت صور إيمانهم عن إيمان المسلمين.

يحدد القرآن الكريم هذه النظرة فيما يختص باليهود فى قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلا تَخْشَوْا النَّاسَ وَاخْشَوْنِي وَلا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلا وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة:٤٤]، وفيما يختص بالنصارى يقول عز وجل: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ * وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْفَاسِقُونَ﴾ [المائدة:٤٦-٤٧].

ولقد ضرب الرسول ﷺ وصحابته رضى الله عنهم أروع الأمثلة للسماحة فى علاقة المسلمين باليهود والنصارى ومن هذه الأمثلة :

ما روى عن أنس رضى الله عنه أن غلاماً من اليهود كان مرض، فأتاه النبى ﷺ يعوده، فقعد عند رأسه، فقال له: أسلم فنظر إلى أبيه وهو عند رأسه فقال له أبوه: أطع أبا القاسم، فأسلم، فقام النبى ﷺ وهو يقول: "الحمد لله الذى أنقذه بى من النار"(١).

كان النبي ﷺ يحضر ولائم أهل الكتاب ويغشى مجالسهم، ويواسيهم فى مصابهم، ويعود مرضاهم، ويعاملهم بكل أنواع المعاملات التى يتبادلها المجتمعون فى جماعة، يحكمها قانون واحد، وتشغل مكاناً مشتركاً ، فقد كان ﷺ يقترض منهم نقوداً ويرهنهم متاعاً، ولم يكن ذلك

(١) سنن أبى داود – كتاب الخراج والأمارة والفئ – باب فى عيادة الذمى – حديث رقم ٣٠٩٥ – ج٣ – ص ١٨١ .

عجـزاً من أصحابه رضوان الله عليهم عن إقراضه، فإن بعضهم كان ثـرياً ، وكلهم يتلهف على أن يقرض رسول الله ﷺ بل كان يفعل ذلك تعلـيماً للأمة، وتثبيتاً عملياً لما يدعو إليه من سلام ووئام، وتدليلاً على أن الإسلام لا يقطع علاقة المسلمين مع مواطنيهم من غير دينهم(١).

وقـد فهـم الصحابة رضى الله عنهم هذا المنهج المتسامح مع اليهود والنصارى، فساورا على هذا النهج الحكيم.

ففي خلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنه عاهد خالد بن الوليد أهل الحيرة على ألا يهدم لهم بيعة ولا كنيسة ولا قصراً يتحصنون فيه، وعلـى أن لا يمنعوا من ضرب نواقيسهم، أو إخراج الصلبان فى يوم عيدهم، على أن لا يعينوا كافراً على مسلم، ولا يتجسسوا لحساب الكفار علـى المسـلمين، ونص فى المعاهدة على أن الجزية يعفى منها الشيخ الـذى عجز عن العمل، أو أصابته آفة، أو كان غنياً فافتقر، وليس ذلك فحسـب ، بـل يعـال هو وأولاده من بيت مال المسلمين ما أقام بدار الإسلام(٢).

ثم جاءت سيرة المسلمين الأولين الذين تفرقوا فى أنحاء الأرض علـى خـير ما تكون السماحة، فعاشروا أبناء الأمم من الروم والفرس والترك والديلم والبربر، دون أن يتحرجوا بنمط من أنماط المعيشة، ولا بأسلوب من أساليب العرف ما لم يكن فيه مساس بالعقيدة والعبادة(٣).

---

(١) راجـع سـماحة الإسـلام، د/ أحمد محمد الحوفى – ص ٦٦ – ط الثانية – مطبعة نهضة مصر.

(٢) توجيهات للدعاة والمصلحين، د/ أحمد عبد المبدى أحمد – ص ٢١٤ .

(٣) التفكير فريضة إسلامية – الأستاذ العقاد – ص ١٤٦ – م دار نهضة مصر.

وهـذا المسـلك المتسامح ليس بمستغرب عن الإسلام، فهو دين الـرحمة، ونبيه رسول الرحمة، وكل من يتبع منهجه تقوده الرحمة إلى صراط الله المستقيم فى كل المجالات وسائر المعاملات.

٢- علاقة المسلمين مع المشركين : الإسلام دين الرحمة الشاملة للعالمين، فلا فرق فى رحمته بين خلق الله، فهو يدعو أتباعه أن يعاملوا كـل من لا يعتدى عليهم ولا على دينهم بالبر والقسط، يتضح ذلك من قـول الله تعـالى: ﴿لا يَـنْهَاكُمْ اللَّهُ عَنْ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة:٨].

فعلاقـة المسـلمين مـع الكافرين تتسم فى جوهرها بالسماحة والسلام طالما لم يحدث منهم اعتداء على العقيدة أو الأوطان.

والصـلح مـع العدو أصل عام مقرر فى الإسلام، وأما الحرب فهى أمر طارئ على أصل العلاقات السلمية مع غير المسلمين، والقرآن الكـريم يقـرر هذا الأصل بقولـه تعالى: ﴿بَرَاءَةٌ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِيـنَ عَـاهَدْتُمْ مِـنْ الْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة:١]، وقوله: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْـنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الأنفال:٦١]، والأمر فـى ذلـك للوجـوب إذ لا صارف له عن حقيقة مقتضاه، وهو قبول المسالمة، والمسالمة هى طلب السلامة من الحروب وآلامها، ولذلك قال بعـض الفقهاء: إن المقصود من الجهاد هو جهاد الوسائل لا الغايات ،

بمعنى أن المقصود نشر الدعوة وتبليغها سلمياً، فإذا تحقق هذا الغرض كان مقدماً على الجهاد بالقتال(١).

ومما يدل على العلاقة المتسامحة مع المشركين صلح الحديبية، يقـول الأستاذ وحيد الدين خان: "فصلح الحديبية عام ٦٢٦م هو من أهم أحداث الكفاح الاجتماعي الإسلامي، وتقول سورة الفتح عن هذا الصلح: ﴿وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ [الفتح:٢٠]، وهذه الآيـة الـتى تتعلق بصلح الحديبية توضح أنه كما يوجد صراط مستقيم للعـبادات وللأخـلاق فهـناك – أيضاً – صراط مستقيم لأمور الصلح والأمن والقتال"(٢).

فسماحة الإسلام مع كل فئات المجتمع – بدرجة من الوضوح – لا يسـتطيع أحـد إنكارهـا إلا إذا كان مغرضاً أو صاحب هوى تقول الدكـتور زيغريد هونكة فى كتابها (شمس العرب تسطع على الغرب)، ولعـل أهم انتصارات العرب هو ما فوجئت به الشعوب من سماحتهم ، حتى إن الملك الفارسى (كيروس) قال : إن هؤلاء المنتصرين لا يأتون

---

(١) محمـد رسول الإسلام والسلام – د/ نصر فريد واصل – ص٨٦ – سلسلة دراسات فـى الإسلام – العدد ١٨٠ – يصدرها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية مطابع الأهرام التجارية.

(٢) واقعنا ومستقبلنا فى ضوء الإسلام – وحيد الدين خان – ترجمة د/ سمير عبد الحميد إبراهيم – ص ٨٦ .

مخربيــن، فما يدعيه من اتهامهم بالتعصب، ما هو أسطورة من نسيج الخيال، تكذبها آلاف الأدلة[١].

فســماحة الإســلام حقيقة منهجية وظاهرة تاريخية تظهرها كل مــراحل التاريخ المتعاقبة ، فسماحته قوية شامخة لا يستطيع النيل منها أى مغرض أو صاحب هوى.

---

(١) راجــع الســماحة فى الإسلام والمسيحية – إبراهيم أحمد الوقفى – ص ٦٥ – م دار الفكر العربى.

أهـــم المراجـــع

أولاً : القرآن الكريم

ثانياً : كتب التفسير :

١- تفســير القرآن الكريم للإمام الحافظ ابن كثير – مكتبة التراث الإسلامى.

٢- التفســير الكبير للإمام فخر الدين الرازى – دار إحياء التراث العربى.

٣- التفيســر الوســيط للقرآن الكريم – د/ محمد سيد طنطاوى – مطبعة السعادة.

ثالثاً : كتب الحديث :

٤- الترغيب والترهيب للحافظ المنذرى – مكتبة الدعوة الإسلامية.

٥- سنن أبى داود – دار الحديث.

٦- سنن ابن ماجة تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى – دار إحياء الكتب العربية.

٧- سنن النسائى – دار الحديث.

رابعاً : معاجم اللغة ودوائر المعارف.

٨- دائــرة معــارف القــرن العشرين – محمد فريد وجدى – دار المعرفة – بيروت.

٩- لسان العرب لابن منظور – دار صادر – بيروت.

١٠- المصباح المنير للرافعى – تحقيق د/ عبد العظيم الشناوى – دار المعارف.

١١- المعجـــم الوجيز مجمع اللغة العربية – مطابع وزارة التربية والتعليم

خامساً : الكتب الأخرى :

١٢- إحياء علوم الدين الإمام الغزالى – المكتبة التجارية الكبرى.
١٣- التفكير فريضة إسلامية – العقاد – دار نهضة مصر.
١٤- تهذيـــب الأخلاق وتطهير الأعراق – ابن مسكويه – المطبعة المصرية.
١٥- توجـــيهات للدعاة والمصلحين – د/ أحمد عبد المبدى أحمد – مطبعة الحسين الإسلامية.
١٦- حـــياة الصـــحابة – محمد يوسف الكاندهولى – مكتبة الدعوة الإسلامية.
١٧- ســماحة الإســـلام – د/ أحمد محمد الحوفى – مطبعة نهضة مصر.
١٨- السماحة فى الإسلام والمسيحية – إبراهيم أحمد الوقفى – دار الفكر العربى.
١٩- محمد رسول الإسلام والسلم – د/ نصر فريد واصل – مطابع الأهرام التجارية.
٢٠- معلمة الإسلام – أنور الجندى – دار الصحوة.
٢١- مـــنهج الإسلام فى العقيدة والعبادة والأخلاق – د/ أحمد عمر هاشم – دار المنار للنشر والتوزيع.
٢٢- واقعنا ومستقبلنا فى ضوء الإسلام – وحيد الدين خان – دار الصحوة.